المحور الأول: مدخل لفهم وتفسير السياسة الخارجية.

تمهيد:

إن تكرار الأحداث على المستوى الدولي بمختلف الصور والمسارات يوضح لنا الضرورة الملحة في تطوير أساليب تمكننا من فهم العوامل المحركة لسياسات الدول بأوجه مختلفة، أي معرفة الأسباب التي تدفع الدول إلى التصرف بالطريقة التي تنتهجها إزاء موقف معين. ومثل هذه المعرفة ستمكننا من الاستعداد للتعامل مع الأحداث الدولية المختلفة، وهنا بالذات تكمن أهمية فهم دوافع السياسة الخارجية ضمن مساعي الوصول بالنظرية السياسية العامة إلى مستوى المقارنة بين توجهات وتفاعلات الدول على الساحة الدولية بشكل خاص، وكذا الارتقاء بها إلى درجة التنبؤ بالمسارات المحتملة للعلاقات الدولية بصفة عامة.

- **النماذج النظرية في صنع وتفسير السياسة الخارجية:**

إن محاولة التنبؤ بسلوكات السياسات الخارجية للدول والمقارنة بينها يستوجب على الباحث طرح التساؤلات الصحيحة، ولا بد له من اختيار المتغيرات المناسبة، ذلك أن مشكلة فهم السياسة الخارجية وتفسيرها لا تكمن غالبا في عدم توافر المعلومات، ولكن في عدم القدرة على تصنيف المعلومات المتاحة بخصوص موقف معين. ولتجاوز هذه العلة تم تطوير نماذج تضبط دراسة السياسة الخارجية في إطار أكاديمي، ولعل من أهم النماذج المعتمدة نظريا في البناء والتحليل ما يلي:

أولا: النموذج الاستراتيجي الرشيد.

يعتبر هذا النموذج الأكثر شيوعا في تحليل السياسة الخارجية. وتشكل الدول طبقا لهذا النموذج وحدات منفصلة تسعى إلى تعظيم أهدافها في السياسة الدولية. وينظر النموذج الاستراتيجي إلى وحدة صنع القرار على أنها "صندوق أسود" يصعب

فهم القوى السياسية الداخلية المؤثرة على خياراتها، وعليه تفسير السياسة الخارجية وفق هذا النموذج على ضوء الفعل ورد الفعل، حيث يحاول الباحث تفسير كل تصرف على أنه عملية حساب رشيدة لكل تصرف قام به الطرف الآخر.

ثانيا: نموذج صنع القرار.

أدرك "ريتشارد سنايدر R.Snyder" قصور النموذج الاستراتيجي، فقدم نموذجا بديلا لفهم وتحليل صنع السياسة الخارجية، تجاوز مفهوم "الصندوق الأسود" وذلك بالتركيز على العوامل الداخلية والخارجية التي تؤثر مباشرة في خيارات السياسة الخارجية، وتتفاوت أهمية هذه العوامل وتتحدد وفق إدراكات صانعي السياسة الرسميين، وهكذا فقط يتحدد اتجاه السياسة الخارجية.

وحسب وجهة نظر "سنايدر" فإن أهم عوامل تفسير خيارات السياسة الخارجية هي دوافع صانعي القرار، ومدى توافر المعلومات لديهم، وتأثير السياسات الخراجية للدول المختلفة على خياراتهم. ولتحسين هذا النموذج أضاف "روبنسون Robinson" و"سنايدر" مفهوم «مناسبة صنع القرار» والذي يشير إلى خصائص الموقف القائم لحظة اتخاذ القرار، مثل وجود أزمة أو عدم وجودها في تلك الأزمة.

ثالثا: نموذج السياسة البيروقراطية.

بدلا من التركيز على صانعي السياسة الخارجية يؤكد نموذج السياسة البيروقراطية على الدور المحوري الذي يلعبه العديد من البيرواقراطيين من ذوي الصلة المباشرة بعملية صنع السياسة الخارجية، فنظرا لتغير الحكومات وافتقار السياسيين للخبرة الكافية واللازمة يتم الاعتماد غالبا على موظفي الخدمة الدائمين للحصول على النصائح والمعلومات اللازمة، ومن ثم يزداد دور هؤلاء البيروقراطيين في السياسة الخارجية، وتزداد أهميتهم أكثر على اعتبارهم المسؤولين عن تنفيذ

السياسة الخارجية ولذلك يكون بإمكانهم التأثير على تطبيقها إما بالتباطؤ في التنفيذ أو ربما برفض التنفيذ على الإطلاق.

رابعا: النموذج التكيفي.

يفضل بعض المنظرين الذين يهتمون بدراسة سلوك السياسة الخارجية التركيز على كيفية استجابة الدول للقيود التي تفرضها أو الفرص التي توفرها البيئة الدولية، حيث يحاول هؤلاء المحللون تحديد خصائص البيئة الدولية التي قد تؤدي إلى نتائج معينة بغض النظر عن التصرفات والأفعال التي يحدثها صانع القرار، وعملا بهذا النموذج يمكن أن نحدد خيارات السياسة الخارجية للدول استنادا إلى مقومات قدراتها التكيفية إضافة إلى إرادتها في بعض الأحيان، وعلى هذا الأساس يمكننا أن نقارن بين سلوكات الدول داخل البيئة الدولية في إطار دورة تبادل الأفعال وردود الأفعال.

خامسا: نموذج صنع القرار التدريجي.

ينظر هذا النموذج إلى عملية صنع القرار باعتبارها عملية تدريجية، فنظرا لوجود عنصر عدم التأكد ونقص المعلومات المطلوبة إزاء الشؤون الدولية، ولكثرة العوامل الخاصة والعامة المتعلقة بشؤون السياسة الخارجية فإنه يصعب التوصل إلى قرارات شاملة وإجراء حسابات رشيدة (عكس النموذج الاستراتيجي)، ومن ثم فإن صانعي القرارات لا يفكرون في الخيارات العديدة المتاحة، بل يركزون على إعادة تشكيل السياسات القائمة والعمل على إصلاحها، ومن ثم لا تبنى خيارات الدول على اختلاف قوتها ومكانتها الدولية في أغلب الأحوال على الحسابات الرشيدة، ولكنها تبنى على أساس ما يمكن أن يتفق عليه صانعو القرار الرئيسيين لتجديد سياساتهم الخارجية في المستقبل المنظور.

ملاحظة:

إنه ومن الأفضل –وبسبب صعوبة التعرف على جميع العوامل التي تحدد سياسات الدول- الاستفادة من كل تلك النماذج في تحليل ومقارنة السياسات الخارجية للدول، إذ أن أيا منها يتضمن جزءا من الحقيقة والمصداقية في التحليل، وحين تزداد وتدقق معرفتنا بدوافع سلوك السياسة الخارجية للدولة من مختلف الزوايا يمكن لنا التركيز على النموذج الأفضل والأنسب حتى نتمكن من التفسير الصحيح لسلوك السياسة الخارجية محاولة التنبؤ به بصورة أفضل.

محاضرات الدكتور معوز عمر